المنبر وأهميته في الفنون الإسلامية في مصر

إعداد

أ.د/ مجدى عبد الجواد علوان عثمان

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية
وكيل كلية الآداب – جامعة أسيوط

يصنع المنبركوحدة فنية تجميعية ، وكمكون داخلي في عمارة المنشآت الدينية يوضع في (الجوامع-المدارس –الخانقاوات) : من الخشب وهو الغالب الأعم ، أو من الرخام ، أو من الحجر وهو الأقل نوعاً ، ويؤدي وظيفة الخطابة ، حيث يرتقيه الإمام لإلقاء الخطبة يوم الجمعة والعيدين .

وبلغت أهمية وجود المنبر إلى حد تصنيف المساجد بأنها مساجد جامعة أو مساجد فروض أو للصلوات الخمس فقط إلى جانب المئذنة .

وحازت المنابر على بؤرة اهتمام الفنانين والرحالة الأجانبأمثالبريسدافين، وديفيدروبرت، وباسكالكوست، وانبهروابها،فرسموها في لوحاتهم الفنية ، كما وصفها علماء الآثار والفنون الإسلامية في مؤلفاتهم ، متعجبين منطرقصناعتهاوزخرفتهافيدراساتأوروبيةمهمةومتخصصة،ومنبينهمالعالمجاستونفييت الذيقالعنها " إنهاتضممجموعاتمنالحشواتالصغيرةمتباينةالأشكالجمعتبعضاًإلىبعض... وتتابعفيهاالدوائروالمربعاتوالمعيناتوالنجوموالأطباقالنجميةمتداخلةبعضهابعضعنطري قالتعشيقحتىليمكنتجميعهاأوتفريغهادونأنيزولأثرهاأويتضاءلبطريقةهندسيةلانهائية .

وتتفاوت المنابر في أحجامها ،
وشكلتمعالمحاريبأهمعناصرالتكوينالداخلىللمسجدفرواق أو إيوان القبلة.

منبر مدرسة وخانقاة السلطان الأشرف برسباي **منبر مدرسة السلطان قنصوه الغوري**

وبلغت أوج صناعة المنابر المصرية ذروتها في العصر المملوكي 648-923هـ/1252-1517م، ومثلت ازدهار فن النجارة والخراطة العربية .

ويتكون المنبر من عدة أجزاء مقامة على قاعدة مرتفعة عن أرضية المنشأة بمقدار 20-30سم وهي : باب المقدم الذي يمثل باب دخول الخطيب ، والدرج الذي يصعد منه ، وجلسة الخطيب التي يجلس عليها الخطيب بين الخطبتين وأثناء الخطبة ويعلوها جوسق ، ودرابزين على جانبي الدرج ، وريشتين ، وجانبين بهما بابي الروضة .

وتمثل ريشتي المنبر المساحة الأكبر من حجم المنبر ، وهي التي تنافس في صناعتها النجار والصانع المصري المسلم والمسيحي عبر العصور ، وتعتمد زخرفة المنبر بطريقة أساسية على التقسيمات الهندسية المتناغمة المعروفة وثائقياً بضرب خيط، ويعتبر طراز المنابر المملوكية
هوالشكلالأكثرشيوعًاوانتشارًابينمعظمالمنابر في مصر والشام ،
وأهممايميزهكبرالحجم،
ويعلوجوسقهقبهأوخوذهبصليةيعلوهاهلال،وزخرفتأجزاؤهكالريشتينوالجانبينبزخارفه ندسيةنفذت بطريقة التجميعوالتعشيق، وطعمت
بالصدفوالسنوالعاجوالزرنشانعلىهيئةزخارفهندسيةقوامهاأطباقنجميةكاملةثمانيةالأضلا عوعشاريةوإثنىعشرية،وأنصافهاوأرباعهافىالأركان،فضلاًعنزخارفهندسيةأخرىمثلالن رجسات والتاسوماتوالسقطوالمخموس.

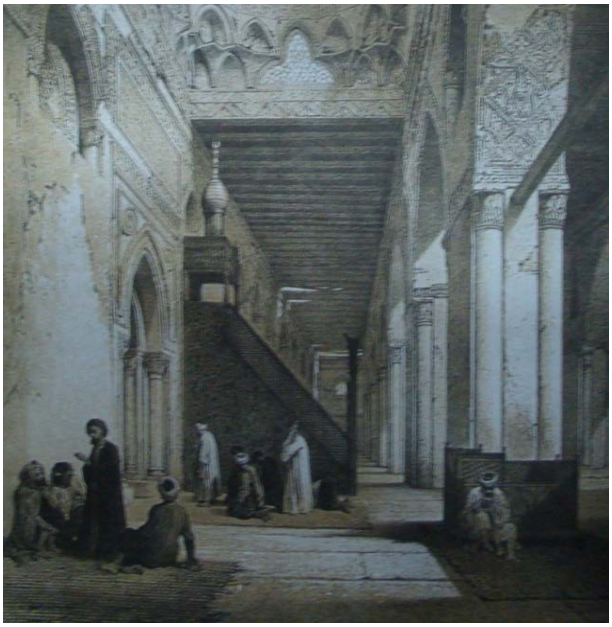

رسم الرحالة الفنان بريس دافين للمنبر المملوكي ودكة المقرىء في جامع أحمد بن طولون

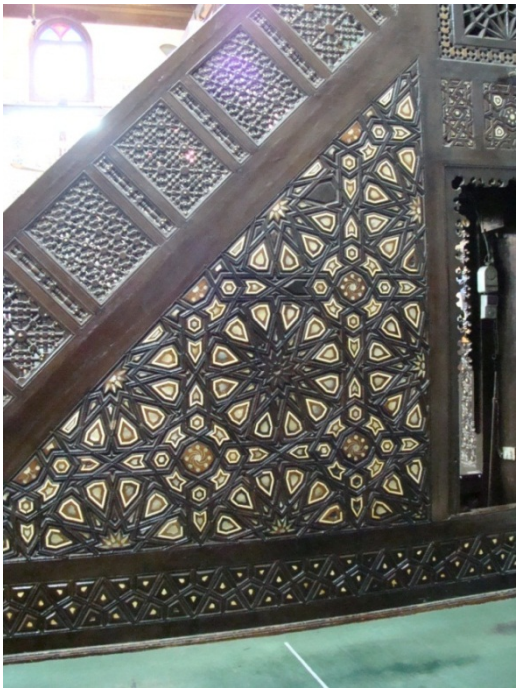

جانب منبر مملوكي الطراز طعمت حشواته المجمعة بالعاج والصدف

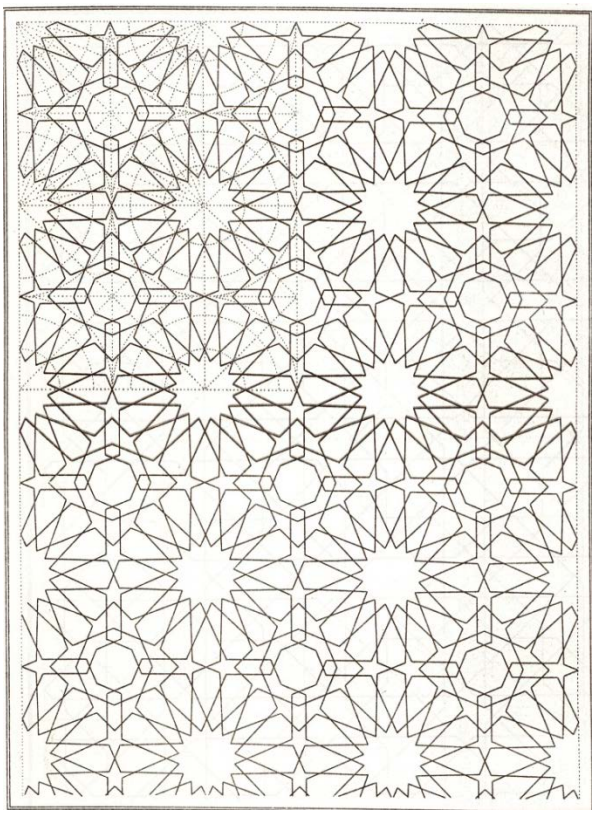

شكل يوضح التقسيمات الهندسية الشبكية اللانهائية المنفذة على المنابر المملوكية

ومنأمثلة هذه المنابر الرائعةالباقية في القاهرة :منبرجامعالطبغاالمارداني 740هـ/1340م،منبرمدرسةأولجايااليوسفي 774هـ/1373م،منبرمدرسةالقاضي عبد الباسط 823هـ/1420م،منبرجامعالمؤيدشيخ المحمودي

819هـ/1416م،منبرالمدرسةالفخرية (جامعالبنات)
821هـ/1418م،منبرمدرسةالأشرفبرسباي
827هـ/1424م،منبرمسجدالغمريالمنقولإلىخانقاةالأشرفبرسباي
843هـ/1439م،منبرمسجدسلطانشاهالمحفوظبمتحففكتورياوألبرتبلندن
880هـ/1475م،منبرمدرسةأبوبكرمزهر 884هـ/1479م،منبرمسجدأبيالعلا
890هـ/1485م،منبرمدرسةالغوري 909هـ/1503م.

كماوجدتبعضالنماذجفيالعصرالعثمانيمثلمنبرجامععبدالباقيجورجيبالإسكندرية
1171هـ/1757م،ومنبرجامعالمتوليبالمحلةالكبرى
1137هـ/1725م،ومنبرجامعمحمدأبوالذهب 1188هـ/1774م.

وبلغت أهمية المنابر في العصر المملوكي أن صنع كثير من السلاطين والأمراء منابر جديدة في منشآت سابقة بعد تعرضها للتلف مثل منبر السلطان حسام الدين لاجين بجامع أحمد ابن طولون ،
ومنبرالسلطانأبوسعيدجقمقالمودعفيمدرسةوخانقاةالسلطانالظاهربرقوق، ومنبر السلطان الأشرف قايتباي لخانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق بقرافة المماليك ، وهو منبر رخامي .

وانتقلتأثير صناعة المنابر المصرية إلىمنابرسورياوبلاد الشام ،
فوجدتمنابرسوريةمنالعصرالمملوكيتسيرجنبًاإلىجنبمعالمنابرالجركسيةفيمصر، مثلمنبرجامعحماة (ق 9هـ/19م) المشابهلمنبرمدرسةتغريبرديبالصليبة 844هـ/1440م،ومنبرالجامعالكبيربحلبق8هـ/
14مالمطابقلمنبريالماردانيومنجكاليوسفي 750هـ/1350م،ومنبرمسجدحدق 740هـ/ 1340م.

ومن بين التمازج الفني بين الفن الإسلامي والفن المسيحي فقد وجدتهذهالحشواتالزخرفيةالمجمعةالمطعمةبهيئةالأطباقالنجميةبأحجبةمعظمكنائسمص رالقديمة،كما فىحجابالهيكلالأولبالكنيسةالمعلقة، وكنيسة أبي سرجة وكنيسة القديسة برباره على سبيل المثال .

و نفذت زخارف أخرى على المنابر مثل طريقة السدايب البارزة ، وأشكال المعقلي القائم والمائل .

من ناحية أخرى فقد حفلت أجزاء المنبر الأخرى مثل الدرابزين وجانبي جلسة الخطيب بنوع آخر من الزخارف المتطورة والتي برع فيها النجار المصري ، وهي فنون الخراطة العربية ، فقد شكلت قواطيع هذه الدرابزينات على عدة أنواع من

الخرط مثل : الخرطالدقيقالمتنوعمابينميمونمربعمائلوقائم، والخرط المفوقوالفارعوالصليبوالبرامقعرانيسوالصهريجي والسداسي المعرج وأبوجنزير وغيره.

وبلغت أهمية المنابر من الناحية التاريخية والآثارية أنها تضمنت نقوش كتابية قرآنية وتسجيلية تمثل نصوص الإنشاء داخل حشواتاحتوت نصوصاًقرآنيةشاعوجودهاعلىبابالمقدم، وهىالآيةرقم 56 منسورةالأحزاب " إِنَّاللَّهَوَمَلائِكَتَهُيُصَلُّونَعَلَىالنَّبِيِّيَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُواصَلُّواعَلَيْهِوَسَلِّمُواتَسْلِيما " .

ومن المنابر التي احتوت على نصوص إنشاء منبر السلطان أبوسعيد جقمق المودع في مدرسة وخانقاة السلطان الظاهر برقوق بما نصه: " أنشأ هذا المنبر المبارك السلطان المالك الملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمق عز نصره".

وكان السلاطين والأمراء المماليك يختارون لعمائرهم أجود الخامات ومن بينها المنابر الخشبية ، حيث نصت حجج ووثائق الوقف على أن تصنع هذه المنابر من الخشب النقي أي المستورد مثل خشب الساج الهندي والصنوبر والعزيزي وغيره ، كما كانت تطعم حشواته بالعاج والصدف.

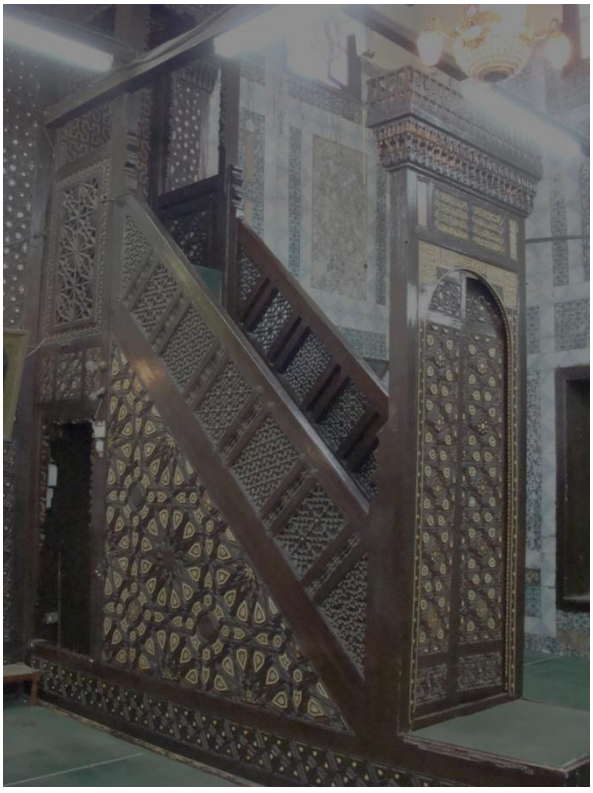

منبر مملوكي الطراز يرجع للعصر العثماني

طرق الصناعة: كان يتم تجميع أجزائ المنابر الخشبيةعند صناعتها قديماً بطريقة فنية يصعب على أي فني حالياً مهما بلغت درجة اتقانه -إعادة تكوينها مرة أخرى ، إذ توجد منابر غير مثبته بمسامير أو مفصلات ، وهي من أسرار تلك الصنعة المنقرضة حالياً ، فضلاً عن صعوبة عمل أجزاء الخراطة بالطريقة البلدية نهائياً حالياً .

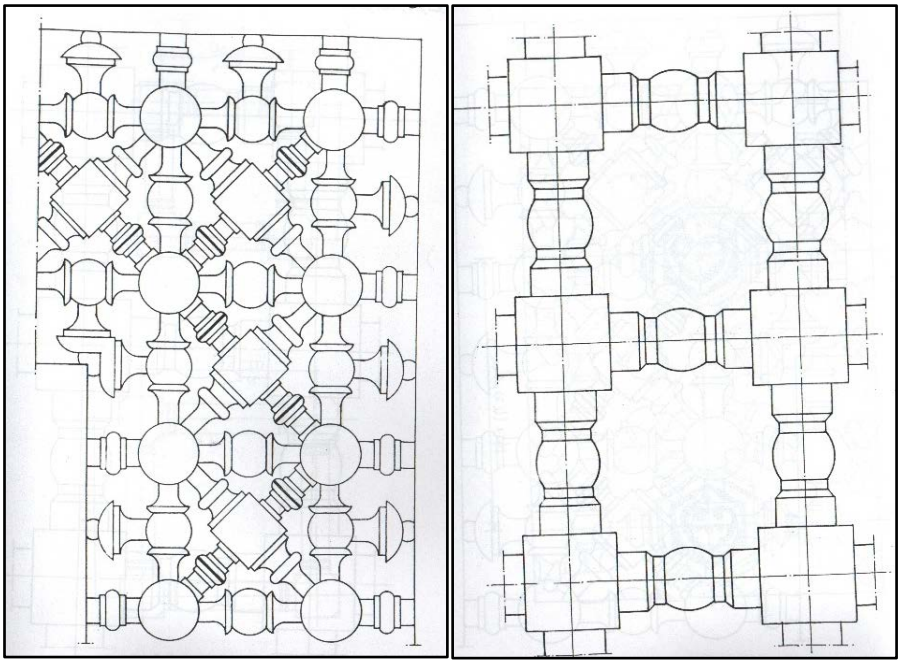

نوعان من أشغال الخرط المنفذة على أجزاء المنابر المملوكية